الفصل الرابع

الحرمات الأساسية

والحرمات الدينية هى التى يحرم على الغير أن يعبث بها أو يعتدى عليها . فبعد أن بين لنا سبحانه ما أوجب علينا لنعمل به فصل لنا ما حرم علينا لنتجنبه وهذا البيان فضل من الله سبحانه لأنه لولا بيان المحرم لاختلط الأمر علينا فلن نفرق بين ما ينبغى وما لا ينبغى ونحن قد رأينا أن من ثمرات الواجبات الاسلامية العمل على تدعيم كيان المجتمع والترابط بين أعضائه ، والعكس من ذلك عمل المحرم فانه يؤدى الى زعزعة كيان المجتمع وتخلخل بنيانه فمن نعمة الله علينا أنه بين لنا ذلك حتى يبقى المجتمع قويا ثابت الأركان يحقق لكل فرد سعادته وأمنه فما حرمه الله علينا ليس تقييدا للانسان ولكن ليسير الانسان فى الطريق الصحيح ولا يتخبط فى المسالك الملتوية أو يضل الطريق قال تعالى : « **وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه** » (١) وتفصيل المحرم مبسوط فى كتب الفقه ولكن أصولها ثلاثة وهى :

١ ــ حرمة المال . ٢ ــ حرمة العرض . ٣ ــ حرمة الحرية .

وحتى ندرك فضل الله علينا فيما أمر وفيما نهى ننظر الى موقف الانسان من باقى المخلوقات فالملائكة خلقوا من نور لا يأكلون ولا يتناسلون ولا يتنازعون فيما بينهم وانما دأبهم التفرغ لعبادة الله لذلك فهم لا يحتاجون الى بيان ما يجب وما يحرم عليهم .ومن

---

(١) الأنعام : ١١٩ .

ناحية أخرى نجد أن الحيوان الأعجم جسدا محضا لذلك فهو غير قابل للتكليف .. أما الانسان فهو روح وجسد أى مزيج من هذا وذاك فكان لابد أن توجد الحدود الفاصلة بين ما يجوز وما لا يجوز .. والانسان جسدا يعيش كما يعيش الحيوان للطعام والشراب والتنفس ولكنه مع ذلك يمتاز بملكات عليا خاصة به ان عرف كيف يستثمرها فى ضوء الهداية الدينية يكون فى درجة أرفع من الملائكة ، والانسان مجبور على الغرائز الجسدية التى تدفعه الى الطعام والشراب ليضمن بها وجود شخصه والى الاتصال الجنسى ليضمن بقاء نوعه ، وهنا فقط يشترك مع الحيوان فى هذه الجبلة ثم هو بعد ذلك يتمتع بالطاقات الروحية الخاصة به جعلته أهلا للتكليف ليميز الخبيث من الطيب وبسبب هذه الملكات الروحية استحق الخلود فى الدار الآخرة فالذى يعيش أسير جسده يتنازل عن رتبته الانسانية وينحط الى درك الحيوان وكذلك ليس مطلوبا منه أن يكون روحا محضا متفرغا للعبادة فهذه وظيفة الملائكة ، ولكن المطلوب منه ان يتلاءم مع دوره الانسانى الذى فطره الله عليه فيعطى لجسده حقه ولروحه حقها بلا اجحاف لأحدهما فيتحقق التناسب المأمول .. لذلك أرسل الله الرسل والكتب ليهديه الى ما يحفظ له توازنه بين الجانبين ولو كان الله يعلم أن بامكانه وحده أن يصل الى تحقيق هذا التوازن لما كانت هناك حاجة الى الرسالات لانارة السبيل .

***

١١ ــ حرمة المال :

الانسان مدفوع لطلب المال لحفظ وجوده والاستزادة من النعم المادية والدين لا يقف حائلا بينه وبين ذلك ولكن يحدد هذه الدوافع بشروط ثلاث .

١ ــ أن يجمعه من حلال .

٢ ــ أن ينفقه فى حلال .

٣ ــ أن يخرج منه حق الله والمجتمع الذى يعيش فيه .

وبعد ذلك يستمتع به كما يشاء ولكن دون اسراف لأن الاسراف فى اللذائذ المادية يؤدى الى عكسها من سقم الجسم والامه نتيجة الافراط يقول تعالى « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا** »(١) .. فتحصيله يكون عن طريق العمل والميراث فلا يأكل اموال الناس بالباطل لقوله تعالى « **ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون** » (٤) كما حرم أن يكون عن طريق الربا « **الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربا ، واحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ، ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون . يمحق الله الربا ويربى الصدقات ، والله لايحب كل كفار أثيم** » (٣) ، « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم ، ان كنتم تعلمون** » (٤) فاذا اقرض المرء أخاه فالدين يخيره بين ثلاثة احتمالات اما ان يسترد دينه بلا زيادة فان لم يجد عنده يصبر عليه فلا يرهقه بالطلب ، فان كان فى سعة من المال يمكنه أن يتصدق

---

(١) الاعراف : ٣١ . (٢) البقرة : ١٨٨ .

(٣) البقرة : ٢٧٥ ، ٢٧٦ . (٤) البقرة : ٢٧٨ ــ ٢٨٠ .

عليه به في حالة العسرة وذلك أن نعمة المال يجب أن تكون مدعاة للتآلف لا للتنافر .. وحرم الله تطفيف الكيل عند الشراء ونقصه عند البيع فقال « **ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** » (١) وحرم أن يكون المال عن طريق السرقة فقال « **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** » (٢) كما حرم اكتنازه واحتكاره دون العمل به فقال « **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم** » (٣) .

هذا عن طريق تحصيله .

أما عن انفاقه فيجب أن يكون أيضا فيما احل الله فلا ينفقه في الفسوق أو الخمر او الميسر فيقول : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » (٤) ويقول : « **ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن** » (٥) وحرم أن يستعين به على اذلال الغير فيقول :

« **واما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه . ولم ادر ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما اغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه** » (٦) .

وعن دعوته الى حق الله والمجتمع يقول : « **خذ من اموالهم**

---

(١) المطففين : ١ — ٣ .
(٢) المائدة : ٣٨ .
(٣) التوبة : ٣٤ .
(٤) المائدة : ٩٠ .
(٥) الانعام : ١٥١ .
(٦) الحاقة : ٢٥ — ٢٩ .

صـــدقة تطهرهم وتزكيهم بها » (١) ويقول : **« وفى اموالهم حق للسائل والمحروم »** (٢) ويقول : **« وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ، ان الله يحب المحسنين »**(٣) ويقول : **« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون »** (٤) ويقول : **« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء »** (٥) .. وينهى عن تبذيره فى سفاهة لانه عصب الحياة فيقول : **« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما »** (٦) ويقول : **« ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين »** (٧) وحرم الضن به عن انفاقه فى مجال استحقاقه فى المشروعات الاجتماعية والعمرانية فيقول : **« ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ، بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة »** (٨) ويقول : **« الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا »** (٩) .

وهكذا أحاطت به قضية المال من جميع نواحيه ليكون مصدر نعمة وسعادة للمجتمع يبعدعنه الحقد والجشع والاستغلال لتسود الثقة والاطمئنان . ولا نظن ان مذهبنا سياسيا أو اقتصاديا أحاط بموضوع المال كما أحاط الدين .

***

---

(١) التوبة ١٠٣ .
(٢) الذاريات : ١٩ .
(٣) البقرة : ١٩٥ .
(٤) البقرة : ٣ .
(٥) البقرة : ٢٦١ .
(٦) النساء : ٥ .
(٧) الاسراء : ٢٦ — ٢٧ .
(٨) آل عمران : ١٨٠ .
(٩) النساء : ٣٧ .

٢ ــ حرمة العرض :

شرع الله الزواج وحرم ما عداه وجعل الأسرة قوام المجتمع لأن الانسان يحتاج الى تربية طويلة فى رعاية الأبوين يتلقى منهما اصول دينه وقيمه وتقاليده وليس كالحيوان الذى لا يحتاج الى شىء من هذا ، لأنه غير قابل للتكليف . ولبيان أهمية الأسرة فى الاسلام فصل القرآن أمورها تفصيلا ولم يشر اليها اجمالا كبقية الواجبات فتكون الأسرة نعمة من نعم الهداية الالهية فيقول : «**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة**»(١) والقرآن يذكرها قبل ذكر الطيبات من الرزق فيقول : « **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات** » (٢) وحرم الصـــلة غير الشرعية وجعلها احدى الكبائر التى لا تغتفر اذ قرنها بالشرك فقـــال : « **الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين** » (٣) وصيانة لهذه الحرمة فقد أقام الدين لها حدان من حدود العقاب لا حدا واحدا فالزانى حده الجلد أو الرجم والقاذف للمحصنات حده الجلد فقال : « **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا ، واولئك هم الفاســقون** » (٤) وقال : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تاخذكم بهما رافة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » (٥) وقد جعل الله هذا الدعاء على لســـان المؤمنين فقال : « **ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين** » (٦) فمن هم الأزواج الذين يكونون قرة العين ؟ هل الزوجة المنحرفة التى

---

(١) الروم : ٢١ .
(٢) النحل : ٧٢ .
(٣) النور : ٣ .
(٤) النور : ٤ .
(٥) النور : ٢ .
(٦) الفرقان : ٧٤ .

تصورها الأفلام فتبدل كل يوم عشيقا جديدا هى قرة العين ؟ هل الزوجة التى تعتبر بيتها مجرد فندق تلتقى فيه بزوجها ساعة النوم هى قرة العين ؟ هل الزوجة التى تعتبر الزواج وظيفة اجتماعية يدرأ عنها تهمة العنس ثم تسير على هواها هى قرة العين ؟ هل الزوجة التى تعتبر الزواج مجرد رخصة تبيح لها الانطلاق الى المحرم تحت ستار الزوجية هى قرة العين ؟ ... ثم هل الزوج الذى يهيم على وجهه فى شهواته الخاصة المنحرفة هو قرة العين ؟ هل الزوج الذى يقضى وقته كله فى ملاهيه وملذاته تاركا بيته وأولاده هو قرة العين ؟ .. وهل الذرية التى تكون ثمرة هذا الزواج هى قرة العين ؟ ... ان أعظم افضال الاسلام هى تدعيم كيان الأسرة واحاطتها بسياج من الفضيلة والعفاف بما أصدر من التشريعات التى تجعله ثابت الأركان قوى البنيان فماذا جنت البشرية بعد أن القت بنفسها فى غواية الشيطان وأصبح الأولاد غير الشرعيين يقدرون بالملايين ؟ ولعل هذه المأساة وحدها عبرة لمن انحرفوا عن مسار الهداية الالهية .

لقد بين الله سبحانه وتعالى أن الأسرة يمتد أثرها حتى الى الدار الآخرة ولا يقتصر على هذه الحياة فيقول « **ان اصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وازواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم** » (١) ويقول « **يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون . الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين . ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون** » (٢) ويقول : « **والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شىء** » (٣)

---

(١) يس : ٥٥ ـ ٥٨ . (٢) الزخرف : ٦٨ ـ ٧٠ .
(٣) الطور : ٢١ .

ويقول : « **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرأون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم ، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار** » (١) وبين حقوق كل من الأبوين والأولاد فعلى الأبوين الاشراف والتوجيه وعلى الأبناء البر والطاعة فيقول « **واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله ، ان الشرك لظلم عظيم** » (٢) « **وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا** » (٣) « **يا بنى أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور** » (٤) ترى هل يصل هذا الصوت الى المشرفين على أجهزة الاعلام عندنا الذين يبذلون كل ما فى طاقتهم لهدم كيان الأسرة واشاعة الانحلال بين الشباب بما يذيعون وينشرون من سموم الأقلام المأجورة التى تثير الغرائز وتدمر القيم ؟ .. أم هم تجردوا نهائيا من كل معنى للكرامة والحياة ؟!

***

٣ ــ حرمة الحرية :

صيانة الحرية فى النظام الاسلامى تقوم على مبدأين : البيعة والشورى .. يقول تعالى « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم**

---

(١) الرعد : ٢٢ ــ ٢٤ .
(٢) لقمان : ١٣ .
(٣) لقمان : ١٥ .
(٤) لقمان : ١٧ ، ١٨ .

وشاورهم فى الأمر » (١) ويقول **« وأمرهم شورى بينهم »** (٢) فليس يكفى ان تتم البيعة لتطلق يد الحاكم على هواه بلا رقيب أو حسيب بل يجب أن تنتخب مع الحاكم لجنة للرأى والتوجيه لتعرض عليها كل ما يهم أمور المسلمين حتى لا يكون الرأى الفرد حكما فى كل الأمور يقول تعالى **« اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم »** (٣) ولم يقل ولى الأمر وحده وكذلك لم يقل أولوا الأمر فيكم وانما قال أولوا الأمر منكم اى ممن تختارونهم منكم لا من يفرضون عليكم من الحاكم ولا يمثلونكم حق التمثيل .. والشورى فى الاسلام ليست مجرد الحكم النظرى ولكنها التطبيق العملى بما قام به الرسول فى كثير من المواقف نذكر من بينها مثالا واحدا يجمع معناها كلها وذلك حينما نزل الرسول ﷺ وأصحابه فى غزوة بدر بعيدا عن الماء فقام احد الصحابة وهو الحباب بن المنذر وقال : يا رسول الله .. أهذا منزل أنزلك الله اياه أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه السلام :«بل هو الرأى والحرب والمكيدة» فقال : فلنتقدم اذن الى الماء ونبنى حوضا نشرب منه ولا يشربون . ونظر الرسول ﷺ الى أصحابه ولم يجد اعتراضا ثم ارتحل هو وأصحابه الى المكان الذى أشار به أصحابه المسلمين .. هذا الموقف يوضح لنا الشورى فى الاسلام فالرسول ﷺ ومعه كبار الصحابة والمستشارون المجربون الذين خبروا الحروب ومكائدها لم يعترضوا على ما عزم عليه الرسول اول الأمر ولكن واحدا من عامة المسلمين يرى غير هذا الرأى فيبادر باعلانه بغير تردد ثقة منه فى رحابة صدر الرسول ﷺ وحسن استماعه لما يبديه أى صحابى من رأى كما لم

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .
(٢) الشورى : ٣٨ .
(٣) النساء : ٥٩ .

يسخر منه الباقون أو يسفهوا رأيه . وبذلك أصبح مبدأ الشورى حقا لكل مسلم فى المجتمع الاسلامى وليس قاصرا على الأمير أو كبار المسئولين .

هذا رأى الاسلام فى الحرمات الانسانية وصيانتها حتى يعيش المجتمع فى أمان واطمئنان ويمكنه أداء الواجبات الدينية مادام مطمئنا على صيانة حرماته ، وهنا ندرك أهمية التوجيه الدينى فى مسائل الحرمات حتى يمكننا أن نتمتع بأداء الواجبات وفى كلا الجانبين نرى رحمة الله لعباده فى هدايتهم الى أقوم طريق .

وقد يقول قائل : لماذا لا تتحدث عن حرمة النفس وهى احدى الحرمات الدينية الأصيلة ؟ فأقول : اننا هنا نبحث فى المشاكل الأساسية للحياة الانسانية ونبين كيف وضع لها الاسلام الحل الصحيح .. أما جريمة القتل فليست مشكلة مختلف عليها بين أمة وأخرى لأنها مسألة واضحة بذاتها كما أنها لا تحدث الا نتيجة الصراع حول الاعتداء على الحرمات التى أشرنا اليها فليس لها دافع غريزى فى أساس الفطرة بحيث يمكن أن يكون مشكلة تتطلب الحل وبزوال الأسباب تترتب عليها تلقائيا زوال النتائج ، والرسول ﷺ يوضح لنا ذلك بقوله « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم ، سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » فالرسول ﷺ يبين لنا بوضوح أن أسباب الصراع الدموى هى الظلم والشح . والظلم اعتداء ايجابى والشح اعتداء سلبى لأن حظوظ الرزق تتفاوت من فرد الى آخر .. هذا الرزق لا يأتى من فراغ وانما هو نتيجة نشاطه فى المجتمع الذى

يعيش فيه زراعة أو تجارة أو صناعة فمن واجبه للمجتمع الذى كان سبب رزقه الا يكون عقبة فى سبيله باحتجاز ما تجمع لديه من المال لأن تركيز المال فى يد أفراد يصيب المجتمع كله بالشلل والضيق ويترتب على ذلك الحسد ثم الصراع الدموى فى نهاية الأمر وهنا نرى أن جريمة القتل ليست مطلوبة لذاتها كالطمع فى المال أو العرض أو الاستبداد فاذا خلا المجتمع من هذه الأطماع اختفت هذه الجريمة بلا جدال .

***